تدبرات في سورة التوبة الآية ١١٥

(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ)

(الدرس الثامن)

إعداد الدكتور /

س .حسين الصافي

المحتويات

السؤال الخامس والعشرون 2
السؤال السادس والعشرون 2
السؤال السابع والعشرون 3
السؤال الثامن والعشرون 3

الدرس الثامن

السؤال الخامس والعشرون: ما هي الحكمة في تقديم المعلوم في حال العلم بـ(الشيئية) (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) بينما يؤخره في حال الحيث عن الذوات كما في قوله: (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) أو (فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) وغيرها؟

الجواب: لاقتضاء المقام:

الكلام هنا حول حصر العلم بهذا الشكل بالله وليس لمخلوق الاحاطة بهذا الشكل اما هناك (عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) وأقرانها, لا يقتضي المقام الحصر حيث يعلمه الكثير .

السؤال السادس والعشرون: تفيد الآية في ذيلها بحسب النظم (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) حصر العلم بالله تعالى دون غيره بينما الثابت عندنا أنّ المعصوم× يعلم كل شيء كما يؤكده سبحانه بقوله: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ؟)

الجواب الأول: اختصاص العلوم بالحق:

هناك علوم اختصها المولى سبحانه بنفسه فلم يطلع عليها حتى المعصوم×، من قبيل الساعة كما في قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، بل حتى العلم بذاته وكنهه سبحانه من ذواته وخاصياته. إضافة إلى ذلك هناك علوم تُمحى وعلوم تثبت أي يتغير ما كان مرسوم فهو في الجملة خاص بالله، كما جاء في الحديث: قال أبو عبد الله، وأبو جعفر، وعلي بن الحسين، والحسين بن علي، والحسن بن علي ، وعلي بن أبي طالب×: والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ [1]) (كما ذهب بعض الأساطين المعاصرين إلى إثبات ذلك بقوله: وهذا الحديث دليل على أن اللوح المحفوظ ولوح المحو والاثبات بكل خصوصياتها مختصة بالله جل وعلا وهناك قسم منها يُعلِّمَ بها الخواص من عباده إذا اقتضت الضرورة.[2]

الجواب الثاني: مصدرية العلم من الله:

كل ما عند المعصوم× من علم فهو من الله وتعليم من الحق فالذي يعلمه المعصوم× فيوضات من المولى (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...) وكما تشير له الآية في السؤال فلا يمكن القول انّه ندّ لله في هذه المسألة .

---

١ (قرب الاسناد, الحميري القمي, ص) 354

٢ (تفسير الامثل, الشيخ مكارم الشيرازي, ج٧ ص)436

السؤال السابع والعشرون: لماذا جاء بحرف الجر (الباء) هنا في قوله: (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) دون حرف (على) أو (في) كما في قوله: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ؟ (ٌ

الجواب الأول: للدمج والالصاق:

من الثابت في محله عند المختصين أنّ حرف الجر(بـ) من أهم معانيه الأربعة عشر وأولها يفيد الإلصاق والدَّمج حقيقةً أو مجازاً كما تقول: (امسكت بزيد) اي لصقت به .[٣]وهنا علم المولى بالأشياء علم حقيقي واقعي وغير منفك عنهم كما تشير آيات عديدة منها: (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ). وهذا المعنى ما لم نجده في الحرف (في.(

الجواب الثاني: لعموم الاطلاع:

بعد ما ثبت أنّ من معاني حرف (بـ) الالصاق فهو يشمل الصاق العلم في الذات المعلومة من كل الجهات والحيثيات الباطنة والظاهرة كما تشير جملة من الآيات منها: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) اي علمه بكل ظواهرهم وايضا بواطنهم كما في قوله: (إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) بخلاف حرف الجر (في) حيث يشير الى العلم في داخل الشيء بحسب ظرفيته.

السؤال الثامن والعشرون: ما هو السبب في مجيء صفة (العليم) هنا في قوله: (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) دون غيرها من الصفات كالقدير والمحيط وغيرهما ؟

الجواب: لاقتضاء المقام: أن المقام والسياق يقتضي هنا ذكر الإحاطة العلمية حيث أن الكلام هنا في سياق التفاصيل والدقائق العلمية في جوانب الهداية وبيان وتعليم الأحكام ومن وصلهم العلم من غيرهم بخلاف الآيات التي تنتهي بذكر صفة (القدير) حيث أنّها تتحدث بمقامها وسياقها عن القوة والقدرة فخُتمت بصفة القدير, كما هو واضح من سياق الآية: (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.(ٌ

جميع الحقوق محفوظة

٣ (مغني اللبيب, ابن هشام الانصاري, ج 1ص)101